

## الهوية ومساائل الجندر "الدراسات النسوية"

## Identity and Gender Issues "Feminist Studies"

|                                                                                |                                                                                    |
|--------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------|
| أ.د/ حياة أم السعد                                                             | ط.د/عبد الرزاق وفاء*                                                               |
| جامعة الجزائر 2 (الجزائر)                                                      | جامعة الجزائر 2 (الجزائر)                                                          |
| <a href="mailto:hayet.oumssad@univ-alger2.dz">hayet.oumssad@univ-alger2.dz</a> | <a href="mailto:wafa.abderrazak@univ-alger2.dz">wafa.abderrazak@univ-alger2.dz</a> |

تاريخ الاستلام: 2025/02/04 تاريخ القبول: 2025/02/20

## ● الملخص:

يركز المقال على قضايا الجندر والنسوية من منظور تاريخي واجتماعي وثقافي، متبعا تطور أدوار المرأة وتأثير الحركات النسوية المختلفة على الأدوار الجندرية وكيفية تقاسمها بين الجنسين في الوقت الراهن. كما يناقش اختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية التي أنتجت تيارات نسوية متنوعة مثل الليبرالية والراдикаلية والإسلامية مشيرة إلى تأثير العولمة والنظام الرأسمالي في تسليع المرأة واستغلالها بشكل متزايد. ويشدد على أهمية تغيير النظرة المجتمعية التي تقلل من قيمة دور المرأة الأساسي في بناء رأس المال البشري، مع التحذير من الوقوع في أشكال جديدة من القيود والعبوديات تحت شعارات الحرية والمساواة. كلمات مفتاحية: النسوية، الحركات النسوية، النسوية الإسلامية، الجندر، الدراسات الجندرية، الهوية الجندرية.

**Abstract:**

The article focuses on gender and feminism issues from historical, social, and cultural perspectives, tracing the evolution of women's roles and the impact of various feminist movements on contemporary gender roles and their distribution between the sexes.

It also discusses the diverse cultural and social contexts that have produced different feminist currents, such as liberal, radical, and Islamic feminism, pointing to the influence of globalization and the capitalist system in increasingly commodifying and exploiting women.

The article emphasizes the importance of changing societal perceptions that devalue women's essential role in building human capital, while warning against falling into new forms of restrictions and enslavement under the banners of freedom and equality.

**Keywords:** Feminism , Feminist Movements, Islamic Feminism, Gender, Gender Studies, Gender Identity

مقدمة:

كانت النساء في الأزمنة الغربية البائدة محتقرات مخلوقات للإنجاب، ثم تجاوزن العبودية المقيتة والنظرة الدونية التي لطالما لاحقت وجودهن البئيس، وخُضن في مناهات التحرر رداً على كل من طمس وجودهن، وبدأن رحلتهم للمطالبة بالحقوق والسعي نحو إثبات الذات، وخلق كيان مستقل عن الصرح الذكوري الذي ساهم بدرجة كبيرة في تخلف المرأة وكبح جماح تطورها، ولم تكن الرحلة سهلة بل حفتها الكثير من التضحيات الجسام التي راحت ضحيتها الكثير من النساء جراء انكار المجتمع لمطالب رأوا تحقيقها شبه مستحيل.

لسنا هنا بصدد الحكم على مدى نجاعة هذه الحركات وما خلفته من آثار إيجابية أو سلبية، فهو على كل حال واقع حاضر بقوة، فالمرأة أخذت ناصية حياتها وتذوقت طعم الحرية، وسارت في دروب البحث عن الحريات والحقوق والمساواة، حتى أصبح المجتمع يسير نحو أزومات لا متناهية، بسبب تشنجات أسرية ونفسية وسياسية واجتماعية، لن نقول أن المرأة هي السبب الوحيد وراءها لكنها جزء من المعضلة، وغدت مثل هذه المشاكل تطفو على سطح المجتمعات، وأخذت ملمحا بارزا يطبع الحياة المعاصرة، لأن أدوار المرأة تغيرت، وتغيرها غيرت التركيبات الاجتماعية على اختلافها سواء في المجتمعات الغربية أو العربية على حد سواء، طبعاً مع اختلافات تميز كل مجتمع عن الآخر.

يسير مقالنا نحو تتبع تغير أدوار المرأة وتشكلات الأدوار الجندرية، وقد تركز على شقين بارزين: شق اعتنينا فيه بالضبط التاريخي والاصطلاحي لمختلف الحركات النسوية في ظل التوحش العولمي الجديد، والشق الثاني خصصناه لمسائل الأدوار وتقاسمها بين الجنسين، كما تتبعنا تشكلات الأدوار الجندرية في العصر الحالي، والتنقيب عن الأدوار الجندرية للمرأة.

نروم في مقالنا الإحاطة بمختلف التيارات النسوية التي اهتمت بمختلف قضايا المرأة<sup>1</sup> ومسائل الجندر من المنطلق المعرفي ثم الأدبي، فقد أصبحت قضايا المرأة تشغل الباحثين بمختلف تخصصاتهم الأدبية والاجتماعية والنفسية وحتى الاقتصادية لدراسة أكبر عدد من الأعمال الأدبية النسوية المعاصرة التي تشغل على مسائل لصيقة بقضايا المرأة في مختلف المراحل التاريخية، والوقوف على ما تمنحه الهوية السردية من تمثيلات تعكس لنا مختلف قضايا الجندر وأهمها مسائل توزيع الأدوار.

أيضاً نبتغي تحديد مفاهيم لا طالما اختلف حولها النقاد خاصة الاختلاف الكامن بين الحركات النسوية وكيف نبعت قضايا الجندر، وهو من أهم الموضوعات التي لم يهتم بها بعد الدرس العربي.

يعالج هذا المقال مسائل شائكة، خاصة ونحن في عصر العولمة ومحاوله خلق تطابقات هوياتية مع النموذج الغربي الذي سطر مساراً للمرأة تنقاد فيه نحو حرياتها التي تبدو لا مشروطة مع ما تمليه تطورات الأزمنة الحديثة. أين أصبحت المرأة الغربية سيّدة نفسها ويحق لها أن تناطح

<sup>1</sup> علينا أن نشير إلى التحيزات في الحركات النسوية، فالنسويات البيضاء لطالما همشن معظم المشاكل الالتي تعرضن لها النسويات الملونات والنسويات العربيات، لهذا لا بد من الحذر فحين نتحدث عن الحركات النسوية على القارئ أن يعي أن الحديث يتركز على النسويات الغربيات فقط، ولهذا "أطلقت المناضلة الأمريكية السوداء سوجورنو تروت عندما تحدثت عن النسويات الناشطات في القرن التاسع عشر وويختهن لتجاهلن مشاكل واهتمامات النساء السود، فقالت: ألسن أنا أيضاً امرأة شعرا متكررا في كتابات الناقدات النسويات من السود، في سنة 1974 صدر بيان النسويات السود.... انتقدت المجموعة توجهات النسوية الأمريكية المعبرة عن مصالح الطبقة المتوسطة من النساء البيض، وأكدت على ضرورة بلوة سياسات الهوية أو السياسات التي تأخذ في الاعتبار الاختلافات العرقية والطبقية والثقافية، وتحديدها كنقطة انطلاق وحرك للنضال واستثارة الوعي، تبنت المجموعة فكرة أن المواقف السياسية التي تسعى إلى إحداث تغيرات جذرية في المجتمع تتبع في الأساس من الهوية" أصوات بديلة المرأة والعرق والوطن في العالم الثالث، تحرير وتقديم: هدى الصدة، ترجمة: هالة كمال، المجلس الأعلى للثقافة، 2002 القاهرة، ص 15.

الرّجل صرحه الذكوري دون أن تختل مكانتها، وهذا ما لا يمكن أن يحدث في المجتمعات العربية التي تعيش مفارقات نوعية خاصة حين يتعلق الأمر بالمرأة وقضاياها. لهذا يؤكد عبد الوهاب المسيري من ضرورة تحرير المرأة لكن دون السقوط في تمركز حول الأنثى.

## 1. الكتابة الأدبية النسوية بين التحرّر وإعادة التشكيل

في الوقت الذي تقدم لنا الأعمال الأدبية التي تكتبها المرأة اليوم عالماً معقداً شائكاً يصعب الإلمام بكليته لهذا اخترنا أن نجعل الهوية السردية التي تتجلى في ثنايا الكتابات الأدبية مطية تلج بنا إلى ما تكتبه المرأة حول نفسها وقضاياها وأهم شيء سيشغلنا هو الأدوار أو القضايا الجندرية، ففي زمن التغيرات الجديدة تبوّأت المرأة مكانة مرموقة مما جعلها تخرج عن أدوار لطالما التصقت بها لتؤدي أدواراً أخرى في كثير من الأحيان تخرجها عن أنوثتها وطموحها الأول وهو التحرر من سطوة وهيمنة الرجل.

نبتغي تتبع ومعاينة تطور أدوار المرأة من خلال ما تكتبه ويكتب عنها، بحثاً عن إجابات لأسئلة لطالما شغلتنا وأهمها هل تكتفي المرأة بوصف أدوار معينة أم تسهم كتاباتها في محاولات لخلق أدوار لطالما رفضتها العقلية البطريكية الشرقية؟ هل الأدوار التي تكتب عنها المرأة تخدمها أم تسقطها في عبوديات جديدة؟ كيف تطورت أدوار المرأة من فترة إلى أخرى، وما هي العوامل التي أدت إلى ذلك؟ هل يمكن للرواية والسيرة الذاتية أن ترصدا تطور أدوار المرأة؟

ولعلّ أهم جنسين أدبيين تظهر فيهما القضايا الجندرية مقرونة بالمساائل النسوية، هما الرواية والسيرة الذاتية، فإن كانت الرواية سيدة الأجناس الأدبية بتعبير "ميخائيل باختين"، ويمكنها من خلال الأصوات والخطابات المهجنة والمتخللة أن تدرج خطابات الآخرين اللصيقة بالمجتمع والتاريخ والسياسة، فإنّ السيرة الذاتية تصنع مسافة تذوب فيها الذات في ذاتها ولكنه ذوبان يصهر المجتمع والعرف والعالم داخل ذاتية الكاتبة، لهذا تعدّ السيرة الذاتية أفضل عيّنة تعبر عن مساائل الهوية السردية وقضايا الجندر، فهي ترصد تطوّر واختلاف أدوار المرأة العربية في أدب الحروب وأدب السجون وأدب المنافي وأدب الأوبئة، أيضاً تعبّر الرواية عن أدوار المرأة المثقفة في علاقتها بالمجتمع، من خلال ما كتبت وما كُتبت عنها.

## 2. موقع النساء من حركة التاريخ السياسي والاجتماعي:

تجدر الإشارة إلى صعوبة ضبط المصطلحات أولاً، والتيارات المعرفية والمفاهيمية التي تحف الاشتغال على قضايا المرأة ومساائل الجندر، وفهم مسارات الكتابة النسوية، أو ما تكتبه المرأة وما كُتبت عنها في ظل التيارات التي تنادي من جهة بحرياتها ثم حقوقها ثم الانطلاق إلى البحث عن تقسيم الأدوار، ومن ثمّ طرح المسائل الجندرية، لهذا كان لابد أن نستند ونلجأ إلى التاريخ النسوي موظفين التاريخ، لنطرح السؤال التالي ما هي الأدوار التي شغلته المرأة عبر الزمن ؟ هل استطاعت الحركات النسوية أن تحرّر النساء من اضطهاد النظام الأبوي؟ هل استطاعت المرأة أن تجسّد فعلاً أدواراً جديدة ؟ وكيف تطورت وتغيّرت أدوار المرأة من فترة إلى أخرى ومن حيّز مكاني إلى آخر؟

تعتبر المقولة الشهيرة لسيمون دي بوفوار "إنّ المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح كذلك" إلى جانب قولها الآخر "من شأن تغيير حال النساء أن يفضي إلى تغيير العالم" من الأفكار التي أحدثت تأثيراً كبيراً وزعزعت الهياكل الذكورية التقليدية. فالمقولة الأولى تركز على مسألة الأدوار

الجندرية التي تترسخ بفعل العوامل الثقافية والاجتماعية والتاريخية، وهي الأدوار التي تسعى دي بوفوار لإعادة النظر فيها، لتمكين المرأة من التطلع إلى آفاق أوسع حُرمت منها طويلاً. وتؤكد دي بوفوار على أن تحقيق هذه الحريات سيؤدي بالتأكيد إلى تغيير جذري في وجه العالم، وهو ما نراه اليوم؛ إذ باتت أدوار المرأة تتغير مما أثر على ملامح العالم كله، هنا وهناك. ويبقى السؤال الذي ينبغي أن يقود تحليلنا: كيف تطورت أدوار المرأة، وما التحولات التي شهدتها بفضل الحركات النسوية ثم نظرية النوع الاجتماعي؟

سعت الحركات النسوية إلى المساواة الاقتصادية والتعليمية والسياسية والاجتماعية بين الرجال والنساء، ولا بدّ من الوقوف على مختلف هذه الحركات لأنها لعبت دوراً كبيراً في تشكيل النظريات النسوية على اختلافها.

فقد قسمت لوربر (1998) Lorber النسوية إلى ثلاثة موجات رئيسية هي الإصلاح بين الجنسين والمقاومة بين الجنسين والتمرد بين الجنسين<sup>2</sup>، تُركّز نسوية الإصلاح بين الجنسين على أوجه الشبه بين الرجال والنساء مقارنةً بأوجه الاختلاف، في حين تؤكد نسوية المقاومة أنّ الاكتفاء بالمساواة في الحقوق القانونية الرسمية وحدها لا تكفي لدحض الفروقات بين الرجال والنساء، بل تدعو إلى مواجهة السلطة الذكورية على العلاقات الاجتماعية، كما اهتمت بدراسة الفروقات في الإدراكية والعاطفية والاجتماعية بين الجنسين، بينما اتجهت نسوية التمرد بين الجنسين إلى النظر في عدم المساواة بين الجنسين في العرق والاثنية والطبقة الاجتماعية والتوجه النفسي.

ومن الأسئلة التي تفرض نفسها هنا: هل تمكنت الحركات النسوية فعلاً من تحقيق جوهر مطالبها وأهدافها، أم كان نضال النساء في إطار هذه الحركات رمزياً أكثر منه فعلياً؟ وهل حصلت النساء على ما كنّ يطمحن إليه حقاً، أم حصلن فقط على ما سمح الآخر - سواء الرجل، أو الإمبريالية<sup>3</sup>، أو الاستعمار - بتقديمه والتنازل عنه؟ وكيف تطورت هذه الحركات النسوية لتأخذ شكل ثلاث موجات متتالية؟ وهل جاءت الموجة الثالثة، الأقوى والأكثر حدة، لتقلب مبادئ وأهداف الموجتين الأولى والثانية؟ قبل الإجابة عن هذه الإشكالية الجوهرية وأسئلة أخرى تنخر أذهاننا، علينا أن نقف برهة عند حدود ماهية النسوية، وحركاتها، ومطالبها، وأهمّ الأهداف التي سعت إلى تحقيقها.

### 3. النسوية منهج أم أيديولوجيا؟

النسوية شكل من أشكال السياسة مكرّس لإحداث تغييرات اجتماعية. وكبح إعادة إنتاج صور وأشكال عدم المساواة النسقية بين الرجال والنساء. فهي تهتم بدور الممارسات الاجتماعية والمؤسسات في ترسيخ دعائم التمييز بين الجنسين<sup>4</sup>، وقد اختلف الباحثون حول

<sup>2</sup> ميشيل أ. بالودي، النسوية وحقوق المرأة حول العالم، الكتاب الأول: الإرث والأدوار والقضايا، ترجمة: خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، ط1، 2018 القاهرة، ص25.

<sup>3</sup> اعتبرت حنة آرنت أن الإمبريالية جاءت كنتيجة مباشرة للاستعمار، حيث ظهرت عقب فشل الدول في التكيف مع التحولات الاقتصادية والصناعية التي شهدتها الغرب في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر. وتحديداً بعد الأزمة الاقتصادية الكبرى التي ضربت الرأسمالية في عام 1873، والتي مهّدت الطريق أمام ظهور ملامح التوسع الاستعماري الذي أقر في مؤتمر برلين عام 1878. ومع ذلك، ترى حنة آرنت أن البداية الفعلية للإمبريالية كانت في عام 1884. وقد تناولت آرنت ظاهرة الإمبريالية من منظور الاستعمار الاستيطاني الذي تطور إلى هيمنة شاملة على مختلف جوانب الحياة، خاصة بعد تحرر البرجوازية من سيطرة الدولة، مما جعل الدولة أداة لتنفيذ مصالحها في الهيمنة الاقتصادية، ليس فقط داخل حدودها الوطنية، بل أيضاً على نطاق أوسع امتد عبر العالم. كما أشارت آرنت إلى أن العنصرية والبيروقراطية كانتا عاملين أساسيين في تعزيز التوسع الإمبريالي. حيث استخدمت العنصرية لتبرير هيمنة الشعوب البيضاء على غيرها تحت ذريعة النقاء العرقي والتقدم الحضاري. أما البيروقراطية فقد عملت كبديل للسلطة السياسية في الدول المستعمرة، حيث أصبحت الإدارات المحلية في المستعمرات مسؤولة عن تسيير الأمور بشكل مستقل دون انتظار توجيهات من العاصمة الأم، وهو ما أدى أحياناً إلى نشوب صراعات بين إدارة المستعمرات والعاصمة الأم. ينظر: حنة آرنت، الإمبريالية ومعالم الإبادة والعنصرية والشمولية، ترجمة: نادرة السنوسي، ط1، 2020، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية- ناشرون،

تصدير ص10-11

<sup>4</sup> ماري تابلوت، اللغة والجندر، الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين، ترجمة: محمود أحمد عبد الله، دار شهرار للنشر والتوزيع، ط1 2022، ص13

اعتبار النسوية "نظرية"<sup>5</sup> نظرًا لتعدد تياراتها الفكرية، وتعدد طرق معالجتها لقضايا المرأة، فرغم امتلاكها لمقومات "النظرية" من خلال دراستها المنهجية لقضايا السلطة والتمييز القائم بين الجنسين والهيمنة الاجتماعية، إلا أنّ هناك من رأى بأنها تفتقر إلى التماسك النظري لتعدد تياراتها وتنوعها الكبير.

في جوهرها، النسوية هي الإيمان بمبادئ أساسية محددة للمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية في المجتمع الذي يحصل فيه النساء والرجال تقليدياً على معاملة غير متساوية<sup>6</sup> وهي صور نمطية ترسخت عبر العصور، لهذا تعرضت النساء تاريخياً للكبث والتقويض بصفتهم الطبقة الأدنى من الأنواع البشرية التي لا تستطيع منافسة الرجال وهي ظاهرة ثابتة في الكثير من النصوص التي كتبها الرجال عن النساء.<sup>7</sup>

إنّ التمييز التاريخي ضد المرأة<sup>8</sup>، وتصويرها على أنّها كائنٌ أقلّ قدرة أو فعالية مقارنة بالرجل، جعلها مستبعدة عن المجالات الاجتماعية والعملية والثقافية. فالنظرة الدونية لها كرسّت الفجوة بين الجنسين ودعّمت هياكل السلطة الذكورية، التي تعتبر مساهمة المرأة غير ضرورية أو غير ملائمة. ولعل هذا الأساس المغلوط جعل النساء يواجهن صعوبات وتحديات في الحصول على حقوقهن والمشاركة المتكافئة، ما أدى إلى ظهور الحركات النسوية التي طالبت بالاعتراف بحقوق المرأة وقدراتها، وسعت لكسر هذه الصور النمطية والتمييزية.

فالمرأة حُندقت في أبعادها البيولوجية ورعاية الأطفال وتربيتهم والقيام بالأشغال المنزلية، فيما أنّها تلد فهي المسؤولة عن تربية الأطفال مما يخلق موقفاً محدوداً تصبح المرأة محاصرة داخله، توضح "مونيك وينتج" في لا يولد الشخص امرأة" أنّ معظم ناشطات الحركة النسوية في الولايات المتحدة وأماكن أخرى ما زلن يعتقدن أنّ أساس القهر في حياة المرأة هو دورها البيولوجي والتاريخي في حين يجب أن ينسب الفضل إلى المرأة في تحمل المسؤولية تطور الجنس البشري<sup>9</sup>، شهدت بدايات القرن العشرين أسر النساء في ظل العبودية المنزلية واستمر هذا الوضع حتى ظهرت الرأسمالية وأُتيحت للمرأة فرصاً جديدة من أجل الحرية وهو ما تطلق عليه مونغيسي "البقاء خارج نطاق الأسرة" والذي تحدى الهيمنة الذكورية<sup>10</sup>، وهو أيضاً ما دفع سيمون ديوفوار إلى إلغاء الأسرة واستبدالها، لأنها هي من كبحت جماع المرأة وسمحت باستغلالها

<sup>5</sup> من التحديات الصعبة التي واجهت الباحثات النسويات كان تعريف النسوية داخل الأسوار الأكاديمية وتحديد المفاهيم المستخدمة، كان السؤال الملح هو: هل النسوية منهج بحثي أم اتجاه إيديولوجي أن نظرية علمية؟ فمن الجدير بالذكر أنّ مناهضي النسوية استغلوا هذا الجدل للحد من شرعية التراث البحثي النسوية، وذهب البعض إلى أنّ جميع محاولات صياغة نظرية نسوية سوف تتحول بالضرورة إلى ممارسات قمعية لم يحسم الجدل في هذا الموضوع، إلا أن لسندرا هارديج أستاذة الفلسفة مساهمة مهمة في هذا الخصوص، فهي تذهب إلى أنه لا توجد أدوات بحث تختص بها البحث النسوي، كما أنه لا يوجد مناهج معينة ولكن توجد نظرية معرفية نسوية" يظر أصوات بدلية ص 11

<sup>6</sup> ميشيل أ. بالودي، النسوية وحقوق المرأة حول العالم، الكتاب الأول: الإرث والأدوار والقضايا، ترجمة: خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، ط1، 2018 القاهرة، ص 25-26

<sup>7</sup> بامبلا ألجويرتو ديليو: قصص الحرمان، ترجمة محمد الجندي مراجعة محمد العناني، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 2011 ص 39، كتبت أيضاً ميشيل لي دوف في كتابها النساء والفلسفة التي توضح تحيز هيكل ضد النساء في فلسفة الحق يقول: "يمكن أن تكون النساء قادرات على التعلم ولكنهن لسن مخلوقات للعلوم المتقدمة أو الفلسفة أو أشكال معينة من الإنتاج الفني التي تتطلب العالمية" ص 39.

<sup>8</sup> ترى المؤرخة جيردا ليرنر (Gerda Lerner) أنّ الأفكار الرئيسية للنظام الأبوي هي أنّ الرجال والنساء خلّقوا على نحو مختلف، ولهدفين مختلفين، وأنّ الرجال يمثلون ذهنًا مفكّرًا ودكاءً متفوقًا وقدرة على القيادة. بالتالي من المقدّر عليهم أن يملأوا النظام والحكم، فيما النساء أدنى على المستوى الفكري، بالتالي يجب أن يخضعن ويصبحن متّكلات على الرجال. وهن غير قادرات على التفكير والتنظيم، لهذا لا تحتاج النساء إلى التعليم إلّا كي يُحطرن أنفسهن لهذا الدور الداعم، أيضًا الله لا يتحدث مع النساء، ولا تستطيع النساء التكلّم مع الله، ولا يستطعن الوصول إلى الله إلّا عبر توسّط الرجال. وفي فترة ألفي سنة من التاريخ المسيحي، اعتنقت هذه الأفكار كأنّها أوامر من الله وصارت مُتضمنة في المنظومة التربوية الغربية، على جميع المستويات. ينظر: جيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة إسبر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2013، مقدمة المترجم ص 7

<sup>9</sup> المرجع نفسه: ص 40.

<sup>10</sup> المرجع نفسه 100.

وكرّست دونيتها، وساهمت في إعادة انتاج هذه الدونية من خلال التربية على الخضوع، وهذا ما تشير إليه أوزولا شوي في كتابها أصل الفروق بين الجنسين تؤكد أن الآباء أكثر محافظة من الأمهات فيما يخص التربية على الأدوار الجنسية إنهم يصرون على تنشئة "البنات الأصيلة والصبي الأصيل" ولا شيء يبدو لهم أكثر كراهية من الصبي المؤنث، وهم أقرب... ذلك لأن الدور الذكوري هو المعيار والدور الأنثوي يقاس دائما به، فليس صحيحا إذن أن الدور الأنثوي مغاير للدور الذكوري، ولكنه مساوٍ له، بل هو بالفعل أقل قيمة، والتربية على الأنوثة تعني التربية على الخضوع، على تقسيم العمل الذكوري /الأنثوي على العمل خارج/ داخل البيت، على العقلانية/العاطفية، على الابداع/ التقليد<sup>11</sup>.

نشأت الحركات النسوية كرد فعل على مظاهر التمييز، وجسدت رغبة مناضلاتها في تغيير الأسس المجتمعية والثقافية التي تحد من حقوق المرأة وحريتها، كما تطّعت إلى إزالة الفجوات التي تحول دون حصول المرأة على فرص متكافئة مع الرجل، مؤكدة أنّ المساواة ليست مجرد شعارات، بل عملية تتطلب نضالا مستمرا حتى تتغير الأدوار التقليدية والقيم الاجتماعية القديمة.

ويعرّف قاموس ميريام ويبستر (Merriam Webster) النسوية على أنّها نظرية المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الجنسين، ونشاط منظم باسم حقوق المرأة ومصلحتها. كما تعرّفها الموسوعة البريطانية (The Encyclopedia Britannica) بأنها الايمان بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الجنسين، في حين تعرّفها بيل هوكس bell hooks (2000) على أنّها حركة لإنهاء التمييز على أساس الجنس، والاستغلال الجنسي، والاضطهاد<sup>12</sup>.

تدعو الحركة النسوية بشكل واضح إلى تحرير المرأة، وضمان حقوقها ومكانتها في المجتمع، مع التركيز على فهم وتفهم أشكال الاضطهاد الذي تتعرض له. كما تسعى النسوية إلى تقديم تحليلات وحلول نظرية تبرز استغلال النساء واضطهادهن في المجتمعات الأبوية. ومن الجدير بالذكر أنّ استخدام مصطلح "النسوية" يختلف تاريخيا عن ظهور الحركات النسوية نفسها، حيث بدأت هذه الحركات بالسعي نحو تحقيق حقوق النساء، ثم انتقلت للمطالبة بحريتهن، وصولاً إلى المطالبة بالمساواة الكاملة في الأدوار بين الجنسين.

#### 4. الحركات النسوية ومواجهتها الثلاث:

سعت الحركة النسوية بمختلف تياراتها وعلى خلاف مواجهتها إلى مجابهة الظلم الذي تعرضت له النساء على مرّ العصور، تمّ تهميش المرأة واستبعادها من صناعة الحضارة، ولم يُذكر دورها في التاريخ، حيث اهتم الرجل بتوثيق إنجازاته ورواية القصة من وجهة نظر النصف الذكري فقط، مما أدى إلى أن يكون السجل التاريخي غير مكتمل، إذ تجاهل تاريخ نصف البشرية. نتيجة لذلك، بات تاريخ المرأة يعاني من النقص والتعتيم. لقد عانت المرأة ككيان مستقل من التهميش والتغيب وسوء التمثيل، حيث وُضعت دائما في مرتبة أدنى، وشُكلت نفسيا واجتماعيا لتصبح غير فاعلة في المجتمع، مُجرّدة تماما من الحقوق والنفوذ. وهكذا، قيل للنساء إنه ليس لهن تاريخ، فصدقن ذلك.

<sup>11</sup> أوزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين (نحن لا نولد بنات، بل هكذا يصنعون منا)، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار، سورية اللاذقية، الطبعة الثانية، 1995 ص 16. ترجم عن الألمانية Ursula

Frankfurt a M :wir werden nicht als Meadchen geboren wir werden dazu gemacht Scheu: 1977

<sup>12</sup> ميشيل أ. بالودي، النسوية وحقوق المرأة حول العالم، الكتاب الأول: الإرث والأدوار والقضايا، ترجمة: خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2018 القاهرة، ص 26

تم تمهيش النساء وحرمانهن من التعليم، مما أعاق تكوين وعي جماعي لديهن. فكانت أفكارهن مكبّلة، وسيطر الرجال على كتابة التاريخ وصياغة الذاكرة المجتمعية، الأمر الذي ألحق أضراراً جسيمة بحقوق النساء. نتيجة لذلك، عانت النساء من مظاهر الاضطهاد على مرّ العصور، وخاضت المرأة معارك طويلة من أجل التحرر والانفصال عن الهيمنة الذكورية، بالأخص من قبضة النظام الأبوي السائد، هذا النظام " هو خلق تاريخي قام به الرجال والنساء في سيرورة استغرقت 2500 سنة لكي تكتمل، وقد ظهر النظام الأبوي في شكله الأقدم في شكل الدولة القديمة. وكانت الوحدة الأساسية لتنظيمه هي الأسرة الأبوية، التي ولدت باستمرار قواعدها وقيمها وعبرت عنها ... وصار فيها الجنس مُبدعاً، ومعرفاً، ومؤسّساً" <sup>13</sup> والملاحظ أن هذا النظام لا يمكنه العمل إلا وفق منظومة قيمية معرفية كانت المرأة جزءاً فاعلاً ومساعداً فيه سواء بطريقة واعية أو بشكل غير واعٍ. إنّ حرمان المرأة من التعليم، ومنع النساء من معرفة تاريخهن، و البحث فيه و تأويله، و اقصاؤها بشكل مُمنهج من كلّ ما له علاقة بالأنظمة الرمزية من فلسفة و قانون و دين و علم جعلها بعيدة عن صناعة التاريخ بالرغم من كون النساء جوهرات و محاوريات لإنشاء المجتمع، فقد كنّ و لا يزلن فاعلات في التاريخ. فالنساء " صنعن التاريخ". إلا أنّهن أبعدن عن معرفة تاريخهن وعن تأويل التاريخ. سواءً تاريخهن أو تاريخ الرجال <sup>14</sup>. فكان لزاماً عليهن أن تطور وعياً جماعياً يكون قاعدة الفكر النسائي، ولعل الأرضية التي تطورت منها الحركات النسوية هي ثقافة المرأة، ووعيتها بضرورة بناء فضاء و تجربة اجتماعية تؤسس عليها فهمها الجديد، ووعي نسوي تاريخي <sup>15</sup> Feministe Consciouance وترى غيردا ليرنر أنّ الوعي النسويّ يعني وعي النساء بأنّهنّ ينتمين إلى فئة ثانوية، وأنّهنّ تعرضن للظلم باعتبارهن نساءً، وأن وضعهن الثانوي الخاضع ليس وضعاً طبيعياً، وإنّما هو مفروض اجتماعياً، وأنّه يجب عليهن التحالف مع نساء أخريات للتخلص من أشكال الظلم الواقع عليهن. وأخيراً، إنه يجب عليهن تقديم رؤية بديلة للنظام الاجتماعي، بحيث تتمتع فيه النساء مثلن مثل الرجال بالاستقلالية وحق تقرير مصيرهن <sup>16</sup>

ولم تكن الموجات الثلاث تظهر بمعزل عن السياقات الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي كانت تملّحها أوضاع المرأة في مختلف الحقب، ولهذا يؤكد إيمانويل تود وهو يقف على الموجات الثلاث أن كل مرحلة ارتبطت بسياقاتها من جهة وبتطورات في مطالب النساء المتحركات المستجيبات للتطورات الاقتصادية التي لعبت دوراً مركزياً في توجيه هذه الحركات والسير بها في بعض المرات خارج ما رسمته المناضلات في بدايات مساهرن التحررين ويمكننا تلخيص هذه المراحل كالتالي:

#### - المرحلة الأولى: المطالبة بحق الاقتراع أو التصويت 1918/1920/1944

<sup>13</sup> غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة إسبر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2013، ص 413

<sup>14</sup> ينظر، غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، ترجمة: أسامة إسبر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2013، ص 30

<sup>15</sup> تشدد غيردا ليرنر في كتابها "نشأة النظام الأبوي" على أهمية بناء وعي نسوي تاريخي جديد لدى النساء، حيث يتطلب هذا الوعي المرور بأربع مراحل أساسية: أولاً، إدراك النساء لجذور الخطأ الذي تعرضن له عبر التاريخ. ثانياً، تعزيز شعور الأخوة والتضامن بينهن. ثالثاً، صياغة النساء لهدفهن واستراتيجياتهن بشكل مستقل لتغيير واقعهن. وأخيراً، تطوير رؤية بديلة تسعى لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر إنصافاً لهن، ينظر: نفس المرجع، ص 455

<sup>16</sup> Voir : Gerda Lerner , The Creation of Feminist Consciousness :From the Middle Ages to Eighteen–Seventy, Oxford University Press, 1993/p14

- المرحلة الثانية: المطالبة بالحرية الجنسية تماشياً مع ظهور موانع الحمل *la pilule sk*، 1961، الحق في الإجهاض في أمريكا سنة 1973، في فرنسا سنة 1975، في 1980 دخول المرأة إلى سوق العمل.

- المرحلة الثالثة: في منتصف سنة 1980 ندخل إلى المرحلة التي يتحول فيها النقاش، ننتقل من تحرير المرأة إلى سؤال آخر، وهو منهم الرجال والنساء؟ ماهي طبيعتهم البيولوجية؟ الاجتماعية هي فترة بدأ يطرح سؤال الهوية، جاء متأخراً في فرنسا مقارنة بأمريكا<sup>17</sup>.

والحقيقة أن الموجات الثلاث تفرعت عنها العديد من الحركات النسوية في مختلف أقطار المعمورة وفق الاختلافات الجغرافية والسياسية والثقافية يقدم أنورادها غاندي<sup>18</sup>. ومن أهم الحركات النسوية واتجاهاتها نجد النسوية الليبرالية التي ظهرت في القرنين الثامن والتاسع عشر مع ماري وولستونكرافت<sup>19</sup> Mary Wollstonecraft وهاريت تايلور ميل Harriet Taylor Mill وإليزابيث كادي ستانتون Elizabeth Cady Stanton، وهي من أقدم التيارات النسوية التي ركزت على المرأة كفرد، تأثرت بالفلسفة الليبرالية (الحرية/العدالة / المساواة) انطلق التيار من مبادئ الحرية/ الفردية/ العقلانية، كما دعا إلى عقلانية النساء وضرورة تعليمهن تعليم مساوي للرجال، وحق التصويت والتملك. أما النسوية الراديكالية فقد سعت إلى إعادة تشكيل المجتمع وإعادة هيكلة المؤسسات التي رأوها بطريكية بطبيعتها فوظيفة المرأة كتابعة في المجتمع كانت تشكل النسيج الاجتماعي لا يمكن تفكيكه إلا عن طريق ثورة تجدد المجتمع نفسه<sup>20</sup>، بينما جاءت النسوية الأناركية عكس الماركسية والنسوية الاشتراكية، فلم تعتمد على النموذج التاريخي للنظام الأبوي الذي درسه إنجلز في كتابه "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" وإنما تعرض الأناركيات النسويات الأبوية الذكورية كأحد مكونات وأعراض النظم المترابطة من القمع<sup>21</sup> أما النسوية البيئية فقد ظهرت في الثمانينات تزامناً مع تصاعد الكوارث البيئية، تربط وتشبه المرأة بالطبيعة التي تتعرض لنفس أنماط الاستغلال

<sup>17</sup> Voir : Emmanuel Todd : Ou en sont-elles ? une esquisse de l'histoire des femme ; seuil : paris 2022/p21

في هذا السياق لا بد أن نشير إلى أن الموجة الثالثة عرفت انقساماً في مسارها فمن حيث الانطلاقة سعت الحركة النسوية في موجتها الثانية في بدايتها إلى البحث في الفروق الجندرية بين الجنسية ولكن تحول هذا المسار مع ظهور كتاب شكل كتاب جديد بتلر مرحلة أيديولوجية مهمة، لأنها دفعت مسائل الجندر إلى أقصاها، ظهر كتابها سنة 1995، استلهمته من المدرسة الفرنسية، أثار نقاشات حادة حول الجنس والنوع والتوجيه الجنسي، بسبب كتابها ملزمون يقول تود بمواجهة عالم المثليين وأصبحت النساء العبارات جنسياً ضمن الحركات النسوية. ص 21 من كتاب إيمانويل تود.

<sup>18</sup> أنورادها غاندي، الاتجاهات الفلسفية في الحركة النسوية، تقديم: أروندي روي، ترجمة: إبراهيم يونس، اشتباك عربي للنشر، 2022، ص 18.

<sup>19</sup> يعد كتاب ماري وولستونكرافت: "دفاع عن حقوق المرأة" من الكتب التي لا يعرفها الكثير من الناشطين، ولدت ماري في لندن سنة 1759، أظهرت في سن مبكرة سمات تدل على نضوج فكرها، كتبت كتاباً حول تربية البنات 1788 كما كتبت مؤلفاً مهماً عنوانه دفاع عن حقوق الرجال حيث كان لها ميل واضح نحو الأفكار الثورية وإثر تعاطفها مع الثورة الفرنسية كتبت هذا المؤلف سنة 1790، ردت فيه على كتاب إدموند بيرك الذي انتقد بشدة الثورة الفرنسية، وهو ما جعلها شهيرة بين ليلة وضحاها وتلتها بكتابها دفاع عن حقوق المرأة سنة 1792، يعد كتابها هذا أول كتاب في تاريخ النسوية، إنه كتاب يخاطب ثقافة عصره في الفلسفة السياسية والأدب والتربية، وفي رسالة وجهتها في كتابها إهداء إلى السيد تاليران بيرغور أسقف مدينة أوتن السابق تقول: ص 21: "إذا لم تفهم المرأة عن طريق التربية لتكون رفيقة الرجل، فستعيق تقدم المعرفة، لأن الحقيقة يجب أن تكون مشتركة للجميع، وإلا فلن تكون فعالة حين يتعلق الأمر بتأثيرها في الممارسة العامة، وكيف يمكن أن نتوقع تعاون المرأة إذا لم تكن تعرف لماذا يجب أن تكون فاضلة؟ إذا لم تفهم الحرية عقلها حتى تفهم واجبها، وترى كم هو مرتبط بصالحها الحقيقي؟ إذا كان يجب تربية الأطفال ليفهموا مبدأ الوطنية الحقيقي فيجب أن تكون أمهم وطنية... لكن تربية المرأة الراحنة ووضعها حالياً يعيدانها عن هذه الأمور. ينظر: ماري وولستونكرافت: دفاع عن حقوق المرأة ترجمة عبد الله فاضل وعلي صارم، الرحلة للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2015. للأسف لم يحظ الكتاب بحقه لأنه يبحث في المرأة عن الفضيلة لا أن تكون خلف الغريزة ومطوّلها، لهذا عثم الكتاب وصنف ضمن النسوية الليبرالية ولا نرى سبباً لتصنيفه في هذا الإطار؟ تقول ص 39: "يدو تمدن أغلبية الناس في أوروبا منقوصاً جداً، بل يمكن أن نتساءل عما إذا كانوا قد اكتسبوا أي فضائل مقابل البراءة التي تخلوا عنها، فضائل تعادل البؤس الذي أنتجته الرذائل التي كست جهمهم القبيح والحرية التي قايسوها بعبودية باهرة"

<sup>20</sup> ينظر، أنورادها غاندي، الاتجاهات الفلسفية في الحركة النسوية، تقديم: أروندي روي، ترجمة: إبراهيم يونس، اشتباك عربي للنشر، 2022، ص 37.

<sup>21</sup> نشأت الأناركية في القرن التاسع عشر بمدارسها المختلفة والمتناقضة والتي يجمعها جميعاً رفض السلطة المتعالية والمنفصلة عن إرادة الخاضعين وكان نشوؤها نتيجة التداخل المتزايد للدولة البورجوازية الحديثة في حياة الأفراد ونتيجة الرأسمالي التنافسية المتوحشة التي ميزت القرن التاسع عشر، والتي لم تكن اكتسبت الخبرة بعد لتخفي أو تخفف حدة الصراع الطبقي المحتدم، إذا هي فكرية وليدة رفض كل من الرأسمالية واشتراكية الدولة الماركسية ... ينظر: سامح سعيد عبود: أصل الأناركية، مركز المحروسة القاهرة الطبعة الأولى، 2016.

التي تتعرض لها الموارد الطبيعية على يد النظام الرأسمالي ورجاله، وبالتالي لا يمكن لغير ثقافة سلمية معادية للرأسمالية ومحترمة للشعوب والطبيعة، أن تلغي الاستقلال والتميز اللذين تتعرض لهما نساء الكون<sup>22</sup>. ظهرت أيضا النسوية التفكيكية التي حاولت أن تبين العلاقة بين التفكيكية والحركة النسوية، فترى أن النجاح الحقيقي للحركات النسوية لا يقتصر على تغيير القوانين أو كسر الحواجز الاجتماعية، وإنما يجب أن يتطور الفكر النسائي ويتفاعل باستمرار مع التحولات المجتمعية والثقافية، كما يؤكد "دايان إيلام" من خلال مقاله " التفكيكية والحركة النسائية" على أن نجاح الحركة النسائية مرهون بقدرتها على مواكبة التطورات وتجاوزها للمطالب السياسية، ولا تكتفي بمقاومة النظام الذكوري بل يجب عليها السعي لإحداث تغييرات في الواقع الاجتماعي والثقافي حتى تتحقق العدالة والمساواة، فالمصطلحات التي تعبر بها الحركة النسائية عن نفسها حاليا تميل نحو التفكيكية إلى حد بعيد. وتواصل الحركة النسائية حياتها خلال توتر تفكيكي بين المحافظة والتغيير، فتحافظ على الموارث النسائية بينما تحلق في الوقت نفسه فروقا نسائية<sup>23</sup> ونجاحها الحقيقي يكمن في قدرتها على تفكيك وتحليل الظواهر الفكرية والاجتماعية والتجارب معها من دون أن تفقد أصالتها وهويتها وأهدافها الأساسية

## 5. نسوية العالم الثالث وما بعده :

تقول إيليا شوهات في مقالها ثقافة ما بعد العالم الثالث: "في الوقت الذي تمّ سرد قصص الغرب العظمى وإعادة سردها بلا نهاية، وفي الوقت الذي يتحدث فيه ليونار في منهجه ما بعد الحداثي عن نهاية الروايات الكبرى، ويتحدث فوكوياما عن نهاية التاريخ، يتعين علينا طرح السؤال التالي: من بالضبط هم أصحاب الرواية وأصحاب التاريخ الذي يتم إعلان نهايته؟ في وسع الهيمنة الأوروبية أن تكون قد استنفذت رصيدها الاستراتيجي من الحكايات، لكن شعوب العالم الثالث، وأقليات العالم الأول والنساء هم جميعا في بداية مرحلة سرد رواياتهم وتفكيكها... إنّ نسويات العالم الثالث قد ساهمن في صياغة تلك الروايات المضادة، مع إصرارهنّ على أنّ الاستعمار وحركات المقاومة الوطنية قد أثّرت بصورة مختلفة على كلّ من الرجال والنساء، وأنّ عمليات إعادة التحديد والتعريف فيها قدرٌ من الفجوات والتناقضات<sup>24</sup>.

من خلال ما تقدّم نلاحظ بأنّ الحركات النسوية سعت إلى كسر فرضية اضطهاد المرأة<sup>25</sup> واستبعادها وإبعادها من مختلف القوى المركزية المحركة للمجتمعات، وركّزت على وضع المرأة وحاولت كلّ حركة تحليله وفهمه، ولكن ما يمكن قوله، هو أنّ كلّ حركة حرّكت قسما من

<sup>22</sup> مية الرحي، النسوية مفاهيم وقضايا، ط1، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2014، ص28

<sup>23</sup> نيكولاس رويل، ألوان من التفكيكية، دليل المستخدم، ترجمة: عبد الوهاب غلوب، ط1، المركز القومي للترجمة 2013، ص126

<sup>24</sup> ينظر: إيليا شوهات: ثقافة ما بعد العالم الثالث، المرأة والوطن والسينما، ضمن كتاب أصوات بدلية ص447. المقال في عنوانه الأصلي: Poste-third-wordldist

Culture :Gender ;Nation ; And the Cinema ; by Ella Shohat. Feministe Genealogies ;coloniel Legacies :Democratic Futures 1977/PP eds/Jaqui Alexandre and Candra Talpade Mochanty :New York .Londn .Routledge .209-183

الإسلامية وهي في الحقيقة نسويات اسلاميات، ونسوية المستعمرات والنسوية السوداء والنسوية العربية، وهن نسويات الهامش. يمكن العودة إلى كتاب مهم جدا عنوانه دعونا نتكلم: مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، تحرير د/جزيل ويب ترجمة: إبراهيم يحيى الشهابي، مراجعة د/ نعمت حافظ البرزنجي دار الفكر: ط1 2002، وفيها عرض لأهم القضايا التي تواجهها المرأة المسلمة في

هذا العالم الذي يخنقها في عالم التخلف تحاول الكاتبات هنا توضيح ما يمنحه الإسلام من حقوق للمرأة تتجاوز كلّ العصور، الكتاب في عنوانه الأصلي: Windows of Faith/Muslim

.Women Scholar-Activists in North America Ledited by Gisela Webb ;Copyrit 2000 by syracuse University Press : New york

<sup>25</sup> اضطهاد النساء (Oppression of Women) هو مصطلح استخدمته العديد من الكاتبات والمفكرات النسويات لوصف أوضاع النساء في المجتمع، ويُعني بمفهوم "الإخضاع بالقوة" كما يظهر في تعبيرات مثل "الاضطهاد الطبقي". يعبر هذا المصطلح عن هيمنة النظام الأبوي، ولكن غريدا ليرن تشير إلى أن استخدامه ينطوي على تعميم قد لا يكون دقيقا، نظرا لاختلاف تجارب النساء بناءً على عوامل متعددة مثل الطبقة الاجتماعية والموقع الجغرافي والثقافة. ترى ليرن أن فهم "الاضطهاد" يتطلب تحليلا يتجاوز النظرة التقليدية ليشمل تداخل مختلف العوامل مثل العنصرية والتمييز الطبقي والجنساني، التي تسهم في صياغة تجربة النساء في المجتمعات. كما تلاحظ أن بعض الحركات النسوية لم تكن نقدية بشكل كاف في التعامل مع مفهوم "الاضطهاد"، مما أدى إلى تهميش أو إغفال تجارب النساء من خلفيات وطبقات مختلفة. وتقرّر ليرن أن تكون الحركات النسوية أكثر انفتاحا على تنوع التجارب النسائية، وألا تقتصر على تجارب معينة، لتصبح أكثر شمولية ووعيا بالتعقيدات التي تنطوي عليها فكرة

النضال، على حسب المطالب التي كانت تريد تحقيقها، وعلى حسب المعايير والقيم والممارسات التي فرضتها كل حركة محاولة الفوز بمطالبها ومكاسبها، كما أن كل حركة نسوية نبعت من أسئلتها الخاصة وواقعها وسياقاتها وتأثيراتها الفلسفية وميولاتها الإيديولوجية وبالتالي لا بدّ في حديثنا عن الحركات النسوية أن نكون حذرين ولا نسقط في التعميمات والانسياق وراء المقولات الكبرى، بل يتعيّن علينا دائما تحديد عن أيّ نسوية نتحدث.

إذن، لم تعكس الاتجاهات النظرية للحركات النسوية الغربية الواقع إنّما ركّزت على المسائل الثقافية حول اضطهاد المرأة، وسيطرت على القضايا الجنسية والجندرية وعلى عامل المرأة البيولوجي، الأسرة والأمومة، المساواة والاختلاف بين الجنسين... يعني الحركات ركّزت اهتمامها على تغيير نظام النوع الاجتماعي والأدوار الجنسية داخل المجتمعات لا على المرأة وثقافتها وجوانبها النفسية داخل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

يظهر ربما للمطلع السطحي أنّ الحركات النسوية سعت بمختلف تياراتها وموجاتها إلى محاولة النهوض بالمرأة وخلق مكانة لها على جميع الأصعدة، الاجتماعية والثقافية والسياسية وجعلها فاعلة في المجتمع، فطالما كابدت معظم الحركات النسوية عبر مراحلها المختلفة ألوان التمييز والاضطهاد، متّخذة استراتيجيات تثبت من خلالها موجات التفرقة التي تسري في البنيات والمجتمعات والمؤسسات، والعقبات التي تعترض طريق النساء للحصول على مختلف الفرص، سواء العملية أو الحياتية أو حتى الإبداعية لكنها في الحقيقة سارت خلف شعارات وإيديولوجيات حادت بها عن الطريق الذي يهّم حقاً أية امرأة على وجه هذه المعمورة.

ولهذا عندما نتحدث عن النسوية وعن حركاتها لا بدّ أن نضع نصب أعيننا نقطة جوهرية، وهي أنّنا نقف ليس أمام نسوية واحدة إنّما أمام تيارات نسوية متعدّدة ذات خلفيات ثقافية مختلفة، إذ نجد النسويات الغربية البيضاء، والنسويات السود المتواجدة في الغرب وفي دول العالم الثالث، وغيرها كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

تعدّد هذه النسويات وتختلف باختلاف الانتماء الفكري، سواء ليبرالياً أو اشتراكياً أو ما بعد حداثي أو ما بعد الكولونيالي، أو حتى إسلامي. بذلك يكون الوجود الفعلي في النسويات يعكس حتماً وجوداً ثقافياً وفكرياً، تكمن إحدى تجلياته في تعدّد وسائله ونظراته إلى موقع المرأة ومكانتها.

وإن كانت النسوية قد قامت على تكريس نفسها لتغيير معالم الواقع خارج جدران المؤسسات الجامعية، لكن هذا يعني أنّ النسوية لا تعدّ نظرية أو مجموعة من النظريات التي تدرس وتحلّل على المؤسسات الأكاديمية، سواء الغربية أو حتى العربية، ولو كانت كذلك لما أوليناها نحن والكثير من المهتمّين بمجالها هذا الاهتمام، من أجل مسح النظرة الدونية للمرأة وكيانها، وادخالها عنوة إلى الحياة الاجتماعية والعملية وحتى في الميادين الثقافية، ونزع الصورة السلبية التي لطالما التصقت بها كذات تابعة وهو الأساس المغلوط الذي كان سبباً فظيماً في عدم مساواة المرأة والرجل. فجاءت الموجات النسوية لكي تُحدث التغييرات اللازمة في الأوساط المجتمعية، محاولة تحسين الأوضاع لتحقيق تلك

"الاضطهاد". وتؤكد على أهمية فهم هذا المصطلح في السياقات النظرية والنضالية مع مراعاة العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على وضع المرأة بشكل كبير. ينظر: غريدا ليرنر، نشأة النظام الأبوي،

المساواة الغائبة. وقد ناهضت النسوية التمييز على أساس الجنس، وسعت لتعزيز عقيدتها المتمثلة أساساً في توسع حقوق المرأة ودورها في المجتمع وهذا ما خلق مركزية الأنثى وهي فكرة انتقدتها المسيحية في كتابه قضية المرأة<sup>26</sup>، وهذه قضية مهمة لا بدّ من الوقوف عليها لأنّ مركزية الأنثى أخرجت الذكورة من جوهرها.

## 6. النسوية الإسلامية:

اشتغل عليها عدد من الباحثين والباحثات خاصة "أميمة أبو بكر" التي تفرق بين المساواة والعدالة، وتنادي بإلغاء التمييز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، دون الخروج عمّا نصّه القرآن الكريم من حقوق وواجبات للطرفين، كما أنّها طرحت السؤال المهم: ما مدى ملائمة منظور الجندر (دراسات النوع) أي التشكيل الثقافي والاجتماعي للجنسين من منظور المرأة المسلمة؟ خاصة مع وجود نصوص صريحة تخاطب فيها المرأة في القرآن، وأدرجت خطاب المجادلة<sup>27</sup>.

إذن النسوية حركة تتسم بالتغيير وتعدّد الأوجه والجوانب والملامح وهذا ما أكّده سارة جامبل، فإذا كانت النسوية عموماً توصف بأنّها النضال لإكساب المرأة المساواة في دنيا الثقافة التي يهيمن عليها الرجل، فمن الواضح الجلي أنّه لا توجد أجندة نسوية متفق عليها لكل وقت ومكان، بل إنّ الرجل يهيمن عليهن سواء من حيث توزيع الثروة أو المكاسب أو الفرص وحتى أساسيات الحياة الاجتماعية من مأكل ومسكن وغيره.

## 7. المرأة وقضايا الجندر في عالم متغيّر:

لقد وصلنا في قراءتنا أيضاً كما أشرنا إلى مسألة مهمة وهي ضلوع المدرسة الفرنسية أو ما يسمى تيار ما بعد الحداثة<sup>28</sup> في تقديم مشروع أبرز دفاعاً مستميتاً لتفكيك المركزية، مركزية الرجل التي فُككت لتنازعها مركزية أخرى هي مركزية الأنثى ثم اللامركزية وتفكيك الجندر، وهو أخطر ما وصلت إليه دراسات الجندر مع "جديت بتلر".

من خلال قراءتنا لاحظنا وجود بعض الحركات النسوية التي كانت تنادي بضرورة عدم الانسياق وراء تيار ما بعد الحداثة وألاً تغريها جاذبيته، لأنّ هذه الأخيرة تفرض مركزية فكرها وهي بصدد تحطيم مركزيات أخرى.

لقد أحدث الخطاب ما بعد الحداثي ففرة غير متوقعة في الخطاب الفلسفي النسوي بينت من خلاله النساء أنّهنّ قادرات على ممارسة العلم، وهذا بتاريخ العلم والتنقيب عن دور المرأة فيه عبر التاريخ، فتحرّر الخطاب الفلسفي لما بعد النسوية من سجن فكرة تفكيك وانتقاد

<sup>26</sup> عبد الوهاب المسيري: قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، الهيئة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة الطبعة الثانية 2010

<sup>27</sup> ينظر، أميمة أبو بكر، شرين شكري، المرأة والجندر، دار الفكر المعاصر، ط1، ص12

<sup>28</sup> يشير مصطلح ما بعد الحداثة (Postmodernism) بصورة عامة إلى شكل من أشكال الثقافة المعاصرة، وهو أسلوب في التفكير يُدعى ارتياباً بالأفكار والتصورات الكلاسيكية كفكرة الحقيقة والعقب والموضوعية والهوية، وفكرة التقدم الكوني أو الانعتاق، والأطر الأحادية والسرديات الكبرى، وتنظر ما بعد الحداثة إلى العالم، بوصفه طارئاً عرضياً، بلا أساس، متبايناً، بعيداً عن الثبات، وبعيداً عن الحتمية والقطعية، مجموعة من الثقافات أو التأويلات الخلافية التي تولّد قدرًا من الارتياب حيال موضوعية الحقيقة والتاريخ والمعايير والطابع المتعيّن والهويات المتناسكة، هذه الطريقة في الريبة تنبع من تحوّل تاريخي شهده الغرب صوب شكل جديد من الرأسمالية. ينظر: تيري إغلنتون، أوهايم ما بعد الحداثة، ترجمة: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت 2019، ص9

الهيمنة الذكورية، وتجاوز فكرة المطالبة بالمساواة، إلى السعي في البحث عن هوية جندرية لا أنثوية، يستبعد فيها الجنس كعامل للتفريق بين الرجل والمرأة، وبدأت تطفو الدراسات الجندرية ودراسات النوع الاجتماعي في الأفق.

ومع انتشار الامبريالية عبر العالم، وسعي المؤسسات الاقتصادية والأنظمة الرأسمالية إلى استعمال المرأة كأداة لخدمة مصالحها وتمثيل مشاريعها في عالم تسوده التكنولوجيا والنزعة الاستهلاكية وصناعة الثقافة، عالم سريع التبدل والزوال، بلا مركز، انتصرت فيه صناعة الخدمات والمال والمعلومات على المصنع التقليدي<sup>29</sup>، أصبحت فيه النساء تُستخدم كسلع وتم استغلال قضيتها بل وتشبيهاً للنساء كما أطلق كلود ليفي ستراوس الذي ندين له بمفهوم "تبادل النساء" ليست النساء من شئ وسُلع. بل جنسانيتهن وقدرتهن التناسلية، وبما أن جنسانيتهن التي هي مظهر من جسدهن مسيطر عليها من قبل الآخرين. لم تكن النساء محرومات على نحو حقيقي فحسب بل مُقيّدت نفسياً.....<sup>30</sup>

تقول هدى الصدى خرج مصطلح الجندر من عباءة الدراسات النسوية أم من واقعي عمل الباحثات النسويات التي حاولنا ومازلنا نحاول سدّ الفجوة البحثية والمعرفية التي تميّز ضد النساء في مجالات البحث الأكاديمية وفي علوم كثيرة نشأت دراسات المرأة أو الدراسات التي اتخذت من المرأة واهتماماتها وتاريخها ووضعها في المجتمع موضوعاً للبحث والتنقيب بهدف كشف أنواع التمييز الذي تعاني منه وفرض قضيتها على المجتمع كما نشأت الدراسات النسوية على افتراض أن هناك تمييزاً ضد النساء مبني على أساس الجنس وأنه وجب التصدي لهذا التمييز وأنّ الجندر يشير إلى التشكيل الثقافي والاجتماعي للجنس سواء كان امرأة أو رجلاً. تسوق هدى الصدى قولاً لملك حفي ناصف في سياق تأكيدها على وعي النساء العربيات في منتصف القرن التاسع عشر بالفروق الموجودة بين الرجال والنساء وهي فروق تعود إلى التقسيمات الجنسية وليس إلى الأدوار الاجتماعية والثقافية تقول ملك: يقول لنا الرجال ويجزمون انكن خُلقتن للبيت ونحن خُلقتنا لجلب المعاش فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ومن أين لهم معرفة ذلك والجزم به ولم يصدر به كتاب تقول أيضاً في نقدها لمقولة المرأة لم تلعب دوراً بارزاً في الأحداث التاريخية الهامة لوكنت ركبت المركبة مع كريستوف كولومب لما تعذر علي أنا أيضاً أن أكتشف أمريكا<sup>31</sup>

وترى جديت بتلر<sup>32</sup> أنّ الجندر فعل إنجازي ودور أدائي، معناه أنّ اللغة التي سوف تقوله أو تحتمله عليها أن تغيّر من نفسها وهي تواجهه، أي عليها أن تبدأ في معاملة معنى الجندر بوصفه فعلاً إنجازياً وليس تعريفاً إجرائياً يمكن طرحه في اللغة "السائدة" أو "التقليدية"، والحال أنّ السائد أو التقليدي هو بناء "معياري" وليس مجرد "أداة" بريئة فالفرق بين النوع والجنس تحدده الثقافة وليس البيولوجيا. فالنوع gender بنية اجتماعية تتراكم صفاتها عبر الزمان والمكان، فهو ظاهرة يتم بناؤها عبر الزمان والمكان من خلال الأداء المتكرر للأدوار الاجتماعية "الجندر في حدّ ذاته إنجازي. هو ليس ما يكونه (is) أحدهم، بل ما يفعله (does)"<sup>33</sup>، ووفقاً لنظرية "الجندر كأداء" التي تقدمها جوديث بتلر، فإن الجندر ليس صفة طبيعية فطرية، بل هو مجموعة من الأفعال والسلوكيات المتكررة التي يتم تأديتها بشكل طقسي ضمن نظام

<sup>29</sup> ينظر: تريي إغلتن، أوهم ما بعد الحداثة، سبق ذكره، ص 9-10

<sup>30</sup> غريدا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، تر: أسامة إسبر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2013، ط1، ص 415

<sup>31</sup> ينظر: مجلة ألف 1999 ص 219 من مقال المرأة والذاكرة هدى الصدى م قابل تمت هذه المقابلة تحريرياً في خريف 1998 مع هدى الصدى الباحثة في قضايا المرأة والأستاذة في قسم الادب الإنجليزي بجامعة القاهرة وعضوة في ملتقى المرأة والذاكرة مع أميمة أبو بكر وسمية رمضان وهالة كمال وإيمان وياحات أخريات ورئيسة تحرير الحولية هاجر بالاشتراك مع سلوى بكر، إذا هي مقابلة أجرتها عدد من الباحثين وطرحوا من خلالها أسئلة على الأستاذة هدى الصدى.

<sup>32</sup> اعتبرها فتحي المسكيني شخصية مثيرة للجدل ذلك لأنها ليست فيلسوفة نسوية، بل أتت لتغيّر المشهد النسوي، ذلك لأنها محل نقد من طرف النسويات أنفسهن، ص 19 قلق الجندر مقدمة المترجم.

<sup>33</sup> ينظر، جوديث بتلر، قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية، ترجمة فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، ص 22

صارم ومنظم. ترى بتلر أن التصنيفات التقليدية مثل "مذكر" و "مؤنث" ليست سوى نتائج لخطاب مهيمن يفرض هذه الثنائية على الأفراد، مما يؤدي إلى علاقة غير متكافئة بين الجنسين. تجادل بتلر بأن إعلان جنس المولود عند الولادة، مثل القول "إنها فتاة!"، ليس مجرد وصف لواقع بيولوجي، بل هو فعل أدائي يحمل في طياته عملية تشكيل اجتماعي كاملة للهوية الجندرية. هذا التصريح يعمل على إدراج الرضيع في نظام جندري محدد، حيث يتم فرض توقعات وسلوكيات معينة تتوافق مع الفئة الجندرية المنسوبة إليه، مما يعكس قوة الخطابات المجتمعية في صياغة الهويات الفردية منذ اللحظة الأولى للحياة.<sup>34</sup>

## 8. الخاتمة:

إنّ الجندر (النوع الاجتماعي) يشمل جميع القطاعات التنموية، فيحدّد الأدوار بين الجنسين في مجتمع معيّن وفق ثقافته وعاداته الاجتماعية<sup>35</sup> وأعرافه وسياسته المنتهجة، فتصبح الفروقات الاجتماعية والثقافية بين الرجل والمرأة المرجع الأساس لصناعة الأدوار واختلافها. كل هذا يدفعنا للتساؤل عن مدى تمتع النساء حقاً بحريتهن؟ ومدى حرية المرأة في اختيار مسارها؟ أم أنّها تسقط بدون وعيٍ منها في عبوديات جديدة: الاستهلاك والجمال والمثالية والمناصب الرّاقية التي قد تقيدها ضمن أدوار نمطية محددة.

ختاماً، يمكن القول أنّ النّجاح الحقيقي للفكر النسوي يكمن في ضمان حرية الاختيار لجميع النساء، ودعمهن في قراراتهنّ أيّاً كانت والعمل على تغيير النظرة المجتمعية التي خلقت نموذجاً جاهزاً للمرأة الناجحة والمُنجزّة، مُحتزلة دورها في العمل خارج المنزل مُحقّرة من دورها الأساسي والمهم في الرعاية والتربية والسّهر على بناء "رأس مال بشري" تنهض به الأمم.

<sup>34</sup> ينظر، ماري تابلوت، اللغة والجندر الخطاب والتمايز اللغوي بين الجنسين، ترجمة: محمود أحمد عبد الله، دار شهريار للنشر والتوزيع، ط1، العراق 2022، ص260.

<sup>35</sup> جوديث بتلر، قلق الجندر النسوية وتخريب الهوية ترجمة فتحى المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى قطر، 2022، ص9 تصدير المؤلفة للترجمة.